الهوية السردية في الرواية الجزائرية المعاصرة

صورة الصحراء في رواية تاغيت لباديس فوغالي -مقاربة سيميائية-.

Narrative Identity in the Contemporary Algerian Novel: The Image of the Desert in the Novel Taghit by Badis Foughali – A Semiotic Approach.

ط.د نورالملاك قمان [1,*]، أ.د. حسين تروش [2]

[1] جامعة سطيف2، (الجزائر)، no.guemane@univ-setif2.dz

[2] جامعة سطيف2، (الجزائر)، terrouchehocine@yahoo.fr

مخبر الترجمة والدراسات المقارنة في الفنون والآداب.

تاريخ الإيداع: 15/ 2024/01 **تاريخ المراجعة:** 2024/09/03 **تاريخ النشر:** 2024/09/30

ملخص:

ظلت الرواية العربية المعاصرة تبحث عما يحقق هويتها السردية فكانت لعبة السرد بالمرصاد لتصنع للمتن الروائي جماليته، ولعل أبرز ما راهنت عليه الرواية الجزائرية المعاصرة: الأفضية، وأخص بالذكر الفضاء المكاني الذي يشكل جوهر العمل السردي باعتباره المسرح الذي تجري فيه أحداث الرواية.

ظهرت مؤخرا أعمال إبداعية جعلت من الفضاء الصحراوي بؤرة حكيها والذي انتقل من عوالم الشعر إلى عوالم الرواية، وكانت التيمة الأساسية فيه البحث في جماليات الصحراء، سواء في بُعدها المادي أو التاريخي أو الثقافي... ومن الأعمال الحديثة التي طرقت باب الصحراء روايتنا قيد الدراسة تاغيت لباديس فوغالي، وهذا ما يثير عديد الإشكالات أهمها:**" كيف اشتغل باديس فوغالي في رواية تاغيت على تيمة الصحراء على ضوء المنهج السيميائي؟"**

الكلمات المفتاحية: الرواية الجزائرية، الصحراء، الفضاء، التراث، الثقافة، التاريخ.

Abstract:

The contemporary Arabic novel has persistently sought to define its narrative identity, with the art of storytelling meticulously honed to craft the aesthetic essence of the narrative text. Notably, the Algerian contemporary novel has recently placed significant emphasis on the spatial dimension, considering it the core of the narrative work, serving as the stage where the novel's events unfold. Prominent creative works have emerged, strategically transforming the desert space into the central focus of their storytelling, seamlessly transitioning from the poetic realms to the narrative realms. A notable recent exploration of the desert's beauty is found in Badis Fughali's novel 'Taghit'; posing various inquiries, notably the distinctiveness of Saharan literature within the context of contemporary Algerian fiction.

Key words: Algerian novel, desert, spatial dimension, heritage, culture, history.

* المؤلف المراسل.

مهاد:

شهدت السرود العربية المعاصرة وعلى رأسها الرواية نقلة نوعية على مستوى بنائها السردي، وقد شكل المكان نقطة الانعطاف في مسار الرواية وذلك بدخول الفضاء الصحراوي عالم السرد والذي كان مقتصرا في عقود مضت على الشعر فحسب، وبحكم أن الروائي في رحلة بحث مستمرة حول تقديم شكل روائي غير مسبوق فإنه قد وقع في حيرة بين نهج النموذج العربي التراثي أم النموذج الأجنبي. وكان للتراث أتباعه فالتف حوله الكثير من الروائيين ولجؤوا إلى النهل من مآربه كنص الليالي ومقامات البديع مقلدين بذلك طريقتهم في الحكي وكذا الفضاء المكاني الذي لا يقل أهمية عنهما إذ إن غيابه يؤدي بالضرورة إلى غياب الدلالة وتلاشي المعنى، وبهذا فقد راهنت الرواية العربية المعاصرة على تقديم نص روائي أصيل يحمل الهوية العربية المتميزة بصحرائها فكان شاسع الدلالة شساعة الصحراء.

تعرف الصحراء لدى العام والخاص أنها الحيز الغامض والفضاء الذي تكاد تنعدم فيه الحياة؛ إذ لا يسبر أغوارها إلا أهلها المتمكنين والعارفين بأسرارها وخباياها والتي جعل منها الروائيون المتأخرون وبخاصة الجزائريون المتنفس لثبت الذّات وطرح أسئلة وجودية تؤصّل لهويّتهم وتعكس انتماءهم بحكم أن الرّوائي يؤسس لفضائه الروائي قبل الشّروع في السرد كونه مسرح الأحداث ومتصلا اتصالا مباشرا بالزمن والأحداث والشخوص وبالتالي فكتابة رواية دون حيز مكاني أمر مستحيل.

أضحت الصحراء في المدونة الجزائرية المعاصرة منهلا متميزا؛ إذ حاد بها الروائي عن مفاهيمها البدائية كونها مجرد رمال ووهاد قاحلة إلى إظهار مفاتنها وسحر طبيعتها، وراهنت الرواية بذلك على خطاب ثقافي يعرض أبعادا ثقافية وحضارية بعيدا عن السرد التقليدي، ولعل أبرز الروايات المستجدة التي طرقت باب الصحراء رواية تاغيت لصاحبها باديس فوغالي والتي تمخضت عن إعجابه بمدينة تاغيت السياحية ببشار الجزائرية، والتي عرض فيها لجماليات قطعة كونية ساحرة من الجنوب الكبير بأسلوب فني سردي زاوج فيه بين المتخيل والتاريخ والتراث مشكلا بذلك فسيفساء بديعة عكست صورة متكاملة عن مدينة تاغيت السياحية من مختلف الجوانب الثقافية والسياسية والاجتماعية... وأعطى انعكاسا عن إمكانية تعايش الآخر الغريب في الصحراء وسبر أغوارها والمعرفة بتلافيفها وأسرارها الدفينة.

إن أبرز ما يرتكز عليه بحثنا هذا هو تقديم نظرة عن أدب الصحراء من خلال استنطاق البنية السردية لرواية تاغيت، معتمدين في ذلك على آليات المنهج السيميائي. وبناء على ماسبق كان لزاما علينا طرح التساؤلات الآتية:

-ما مدى قدرة رواية تاغيت على النّفاد إلى العوالم الصحراوية وتسريدها والتّلبس بخصائصها الغير مألوفة كمظهر للتحول السردي؟

-فيما تمثلت مظاهر التحول السّردي في الرواية؟

1. قراءة في المفاهيم والمصطلحات:

1.1 الفضاء:

الفضاء هو الحيز الحتمي الذي يحقق الوجود الإنساني، وغياب الشخص من فضاء معين يفضي بالضرورة إلى تواجده ضمن فضاء آخر، أما في عالم السرد فهو يشكل عنصرا أساسيا في البنية السردية

للروايـة كونـه يلعـب دورا في تحديـد مسـار الروايـة وفقـا لمـا يحملـه مـن أبعـاد نفسـية واجتماعيـة وتاريخيـة؛ إذ يستحيل تخيل عمل روائي بعيد عن فضاء ما.

1.1.1 لغة:

ورد في لسـان العـرب: **"فضـا يفضـو فضـوا فـاض وقـد فضـا المكـان و أفضـى إذا اتسـع و أفضـى فـلان إلى فـلان أي وصـل إليـه واصـله إنـه صـارفي فرجتـه وحيزه الفضـاء والسـاحة ومـا اسـتوى مـن الأرض و اتسـع، وجمعـه أفضـية والفضـاء هـو المكـان الواسـع مـن الأرض، ونقـول مكـان مفـض؛ أي واسـع ونقـول المكـان المفضي؛ أي المتسع".**[1]

أمـا المعـاجم الحديثـة فقـد نحـت هي الأخـرى نحـو المعـاجم القديمـة في وصـفها للفظـة الفضـاء بمـا فيهـا الاتسـاع، فالمعـاجم الفرنسـية مـثلا تـرى بـأن: **"الفضـاء(espace) مفهـوم غيـر محـدد يحتـوي بصـفة عامـة على كل المواضيع."**[2]

2.1.1 اصطلاحا:

شـهد مصـطلح الفضـاء تضـاربا نقـديا واختلافـا واسـعا في وجهـات النظـر كونـه ذو ماهيـة ضـبابية يصـعب تحديـد تخومـه والإحاطـة بكنهـه، ولعـل أول مـن طـرق بـاب الإحاطـة بالمصـطلح إضـافة إلى ذلـك:**" تنـاول باشـلار الفضـاء مـن الجانـب الوجـداني حيـث ربطـه بـالوجود الإنسـاني واعتبر أن لكـل مكـان فضـائه الخـاص ولكـل فضـاء رمزيتـه الخاصـة في نفـس الإنسـان، هـذا يعني أن الأخصـية عنـده مختلفـة بـاختلاف نفسـيات النـاس ورؤاهـم، كمـا أن لهـا دلالات جماليـة تبسـط مـن خلالهـا فعـل التفكـروالتخيـل"**[3]. إذا فالعلاقـة بـين الفضاء والإنسان علاقة حتمية وفي غياب أحدهما لا ضرورة للعودة إلى الآخر.

أمـا في الخطـاب النقـدي العربـي فنلفـى عنايـة بمصـطلح الفضـاء متعلقـة بالماهيـة وعلى رأسـهم حسـن نجمي **حيـث أخرجـه مـن إطـاره التقني إلى جعلـه مـادة ضـرورية للعمـل الإبـداعي، وبـذلك فإلغـاؤه بمثابـة طمـس لهوية الخطاب الروائي**[4] فالكتابة الروائية تصبح عرجاء بفعل هذا التشويه الذي مس أحد أهم أركانها.

2.1 في مفهمة الصحراء :

أولت الرواية الجزائرية المعاصرة -رغم احتشام التجربة - عناية باستحضار الصحراء كتيمة من جهة وفضاء لمتنها السردي من جهة أخرى، كونها ضاربة بعمقها في جذور التاريخ وتمثل المرجع الأول للهوية وسفيرة للأصالة الجزائرية.

1.2.1 لغة:

جاء في لسان العرب في لفظ الصحراء بأنها:**" المستوية في لين وغلظ دون القف، وقيل: إنها الفضاء الواسع، وقال ابن شميل: الصحراء من الأرض، مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا إكام ولا جبال ملساء. وأصحر المكان أي اتسع."**[5]

2.2.1 اصطلاحا:

ارتبط مفهوم الصحراء بالمناخ الوعر والجاف والأرض القاحلة: **"فمفهوم الصحراء يقترن دائما بوضع مناخي معين يتميز بقلة أو ندرة الرطوبة أو المياه مع ارتفاع للحرارات وفروقها اليومية والفصلية وتطرف في مقادير التبخر والتنحي."**[6]

إن الطبيعة الجافة للصحراء والحياة التي تكاد تنعدم فيها، لا تخفي سحرها ورونقها: **"فللصحراء هدوءها ولتلك الرمال المنبسطة سكونها ولهذه الجبال الشامخة عظمتها، ولصخورها وتعدد ألوانها العجيبة الزاهية من حمراء قانية إلى صفراء أرجوانية وسمراء داكنة وسماء زرقاء صافية، ... كل هذه العوامل تجعل الإنسان يشعر بارتياح لا يشعر به في حياة المدن".**[7]

أما ابن خلدون فيصف الصحراء في مقدمته بأنها **طبيعة نقية لم تلوثها الحضارة، أما الحضارة فما هي إلا تصنع وزيادة عن الضروريات، والفائضة عن الحاجة.**[8]

3.1 السيمياء

1.3.1 لغة:

القرآن الكريم هو الحافظ للغة العربية بين دفتيه، وقد ورد لفظ السيمياء في عديد المواضع، قال تعالى:" **تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا."**[9] وجاء في التفسير سيماهم: أي علاماتهم.

أما المعاجم العربية فقد أوردت هي الأخرى لفظ السيمياء كما جاء في لسان العرب أنها:**"مشتقة من الفعل (سام)، الذي هو مقلوب الفعل وسم، والسومة والسيمة والسيمياء، والسيمياء العلامة، (سوم الفرس): جعل عليه السيمة وقيل الخيل المسومة، وهي التي عليها السيمة، والسومة هي العلامة."**[10]

2.3.1 اصطلاحا:

يحيل مصطلح السيمياء إلى كلمة **"سيميولوجيا"(sémiologie) الفرنسية أو "سيميوطيقا (sémiotics) والمتولدة هي الأخرى من الكلمة (sémo) وتعني العلامة أو الدليل(signe)، وهي بالأساس الصفة المنسوبة إلى الكلمة الأصل (sens)؛ أي المعنى، أما عن لفظة لوجيا أو (logie) فتعني العلم، وبالتالي فإن كلمة السيميولوجيا أو السيميوطيقا من الناحية اللغوية تعني علم العلامات."**[11]

2. صورة الصحراء في الرواية الجزائرية المعاصرة:

تشكل الصحراء في الرواية الجزائرية المعاصرة نقطة انعطاف مهمة في كرونولوجيا الرواية كونها أهم مظاهر التجريب، ونظرا لما تحمله من أبعاد وخصائص أسطورية وعجائبية فإنها تعطي سمات جمالية جديدة للسرد وكانت رواية الصحراء في ربعانها مرتكزة على جملة من الأبعاد بحكم أن**"المكان في المتن الروائي هو ذلك الفضاء الفسيح الذي يعج بالصور والمشاهد التعبيرية ويحيل إلى عديد الدلالات التي تكون له الركيزة والعماد فهو المسرح الذي تجري فيه الأحداث، والهواجس التي تصنعها الذاكرة التاريخية برموزها المتنوعة."**[12] إن الاستحضار البارع للمكان وقولبته وفق ماتمليه الجمالية السردية؛ يفضي بالضرورة إلى تشكيل هوية جديدة للسرد تحقق له المقروئية.

أعطى الروائي الجزائري المعاصر للصحراء روحا، وجعل منها فضاء يعج بالحياة كل ذلك بفلسفة تخييلية تجعل المتلقي يطرح سؤال الذات والهوية وهذا ما أورده الحاج زيواني ؛ إذ قدم مقاربات لروايات

تيمتها الأساسية هي الصحراء، ولعل أبرز المهدين لهذا النوع الروائي مغاربيا نلفى إبراهيم الكوني في روايته التبر، ناهيك عن عديد التجارب الجزائرية التي شهدت خصوصية سردية خاصة وأنها تناولت موضوع الصحراء في ظل الأزمة، أو مايعرف بسنين الجمر أو العشرية السوداء التي تعرض جزءا هاما من تاريخ الجزائر الأليم بطريقة فنية منحت الخصوصية لسرد الصحراء بعيدا عن المواضيع المألوفة، من بين الروايات نلفى رواية تيميمون لكاتبها رشيد بوجدرة ومملكة الزيوان للزيواني واعترافات أسكرام لعز الدين ميهوبي وغيرها من الأعمال التي أثرت الساحة الأدبية الجزائرية.

إن الصحراء فضاء يتميز بتغليب الجانب الروحي على الجانب المادي، فأغلب الشخصيات تميل إلى الزهد وتحيد عن ملذات الحياة، وتكتسب قدرا أكبر من الحرية التعبيرية بعيدا عن المضايقات السوسيوثقافية.[13] على الرغم من قلة الأعمال التي اشتغلت على استحضار الصحراء على الصعيد الوطني إلا أن التجربة كانت كفيلة بالتعريف بمنطقة سياحية مغيبة نوعا ما.

3. مقاربة سيميائية لرواية تاغيت:

1.3 نبذة عن الرواية:

هي رواية من تأليف الروائي باديس فوغالي، صدرت سنة 2016 كتبها نتاجا لزيارته لمدينة تاغيت السياحية وكان هو شخصيتها الرئيسة، قسمت الرواية إلى 21 لوحة تتحدث عن جمال تاغيت الصحراوية، ووصف مظاهر السياحة فيها تارة؛ وينتقل بالحكي إلى مدن أخرى كقسنطينة ووهران تارة أخرى، كانت الشخصية الرئيسة الأخرى بريطانية الجنسية جاءت للمشاركة في مسابقة الفيلم القصير، كانت الرواية مفعمة بفعل المثاقفة ضمن تبادل وفد بين مدينتي قسنطينة وبشار، جاءت أحداث الرواية متضاربة بين الحب تارة والعنف تارة أخرى وبالتحديد مع ما عانته الجزائر من ارهاب ودموية إلا أنها لا تخلو من الوصف.

2.3 قراءة سيميائية للعتبات:

1.2.3 الغلاف والعنوان:

تلعب الصورة السيميائية للغلاف دورا فعالا في استكناه بنية الرواية، فالغلاف هو بوابة العمل الروائي، وفيه خلاصة حيثيات الرواية ويعرف بالعتبات النصية أو خطاب البدايات ويسميه دانيال تشاندلر" الشيفرة الجمالية **وتشمل الجماليات الشكلية التي يحملها الغلاف من صور ورسومات وتصاميم."**[14]

غلاف رواية **"تاغيت"**بلونه الأصفر الباهت، يدل سيميائيا على الحزن والتردد وتذبذب الثقة، والذي يمثل مرآة تعكس صورة الصحراء القاحلة التي تخلو من نبض الحياة، ويتخلل الغلاف لوحة فنية تشكيلية لسوق شعبي في صحراء الجزائروسط الكثبان الرملية والجمال، تختلط فيه النسوة بالرجال مرتدين ألوانا زاهية تكسر نمطية الصفرة الباهتة.

أما العنوان فقد جاء في وسط الصفحة محاكيا لمضمون الرواية، بلون بني كلون رمال الصحراء، وتاغيت كلمة مشتقة من كلمة غيث الذي ينقذ البشر من القيظ والحر"**جاء في الأساطير أن تسميتها**

مشتقة من كلمة غيث، والغيث في اللسان العربي يعني المطر الصيفي الخفيف الذي يغيث البشر من قسوة الجفاف، وشح السماء"[15]

غالبا ما يكون العنوان مرتبطا بمتنه وداعما للتيمة الأساسية للرواية **وغالبا ماترد العناوين المرتبطة بالأمكنة في رواية ما تعبر بالدرجة الأولى عن أيديولوجيتها، كما تعكس الخصوصية الاجتماعية لأهل المنطقة خاصة إن كان مجتمعا منغلقا معقد التركيبة فيأتي العنوان ليكشف عنه اللبس.**[16]

2.2.3 سيمياء الفضاء:

يعد الفضاء ركيزة أساسية في الرواية ولا يكتسب دلالته إلا داخل النص الروائي، وبهذا فقد جاءت رواية تاغيت ثريّة بالفضاءات وخاصّة ما يصف جمالية االصّحراء وما يحيط بها من مظاهر ثقافيّة:**"تاغيت مدينة صغيرة بريئة ملتحفة بحيائها وصبرها الأيوبي، تغمر أردافها العائمة في الاحتشام مساحات ضئيلة من بساتين النخل الزاهية رغم العزلة والوحدة والسكون."**[17]

سرعان ما بدا الانغماس في الرحلة، ووصلت الذات الفاعلة إلى مدينة تاغيت، وهي تقوم هنا بوظيفة اتصال، أي وظيفة خروج من مرحلة حياتية إلى مرحلة حياتية أخرى، بالأحرى الانتقال من صخب المدينة إلى هدوء الصحراء. فالاتصال: الراوي/تاغيت وموضوع القيمة: السياحة وذلك في قوله:**" البيوتات الطينية تتسارع كالبرق تحت سرعة الحافلة والسائق لا يعبأ بالمكان، بساتين النخيل تصارع القيظ وشح الماء وتتسامق في الفضاء المشقر في عناد وشموخ".**[18]

تنوعت الأفضية في العملية الحكائية بين المغلقة التي ندر وجودها، والمفتوحة التي كانت مسرحا رحبا لغالبية الأحداث، ونقصد بها صحراء تاغيت كفضاء سياحي واسع يستقطب السواح مما يخلق نوعا من المثاقفة كثيرا ما أغدق الكاتب في وصفها من خلال مشاهد لسواح ينحدرون من دول أوروبية معبرين عن انبهارهم بالقطعة الرملية الساحرة والتأمل في إبداع الخالق، وفي المقابل يعرب عن حسرته إزاء التهميش الذي يعانيه هذا الإرث الجغرافي التاريخي مقارنا "تاغيت" بمدينته الأم التي تعرضت للوضع نفسه.

3.2.3 سيمياء الزمان:

الزمن الروائي هو أهم عناصر السرد: **"إن وعينا للزمن كجزء من الخلفية الغامضة للخبرة، أو كما يدخل الزمن في الحياة الإنسانية، والبحث عن معناه لا يحصل إلا ضمن نطاق عالم الخبرة أو ضمن نطاق حياة إنسانية تعتبر حصيلة هذه الخبرات".**[19]

اهتم الروائي بتقنية الزمن والتي جمع فيها بين استرجاع للماضي ورؤية للحاضر ليشكل بذلك كرونولوجيا يجمع فيها بين الزمن الاسترادادي والزمن الحاضر. وإذا ماعدنا إلى رواية تاغيت نلفى أن بؤرة انعطاف مجال زمن انطلق من حدث وصول الراوي أو الشخصية الأساسية إلى مدينة تاغيت والتي منها قسم الزمن إلى قسمين:

1.3.2.3. الاسترجاع:

ويعرف أيضا بالاستذكار،"**وهو أن يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها.**"[20] وينقسم الاسترجاع إلى نوعين داخلي وخارجي. فالاسترجاع الخارجي:"**يعود فيه الراوي إلى ما قبل الرواية، وهذا الاسترجاع لا يوشك في أي لحظة أن يتداخل مع الحكاية الأولى لأن وظيفتها الوحيدة هي إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك**".[21]

أما الاسترجاع الداخلي:"**يتعلق بخلق عناصر جديدة داخل الحكاية حيث تكون فيها غير أصيلة، كأن يدخل الرواي شخصية جديدة لم يسبق لها الحضورفي المتن أو أن يسترجع شخصية مغيبة لفترة عن سير الحكي، وتقدم للقارئ ملاحظات بشأنها عن طريق سرد يقوم به أحد الشخصيات**"[22]

ومن الاسترجاعات التي أوردها الروائي باديس فوغالي نجد:" **عاد بذاكرته إلى الوراء، وتشابكت خيوط مشاهد موجهة كسرت خاطره، مع كل مشهد مروع كان يفكر في ضرورة التخلي عنها والعودة إلى حياته الطبيعية الخالية من الحب والإثارة.**"[23]

كان لهذه الاستذكارات دور في منح المتن السردي دلالة زمنية تحيد به عن رتابة النمط الواحد؛ إذ سارت بالحكي في متاهات متفرقة مما يخلق عنصر الدهشة لدى القارئ.

2.3.2.3. الاستباق:

وهو عنصر نقيض لما سبق، يسير بالسرد نحو الأمام وهو: "**اختصار مشهد سردي سيرد لاحقا، إذ يقوم الراوي باستباق حدث مهم يكون له دور فعال في تغيير مجرى الأحداث وذلك باستحضار خدث مبدئي يمهد لما سيحدث.**"[24] إذا فهي إيراد حدث لم يحن وقته بعد، ومن نماذج ذلك في الرواية نلفى تشبث الروائي بحلم تواطأت عليه قلوب الأمة العربية والإسلامية وقد طال تحقيقه، وبنى هذا الاستباق على ثنائية ضدية الحب/الحرب

-"**سأنتصر لفلسطين وكل العرب، سأجعلك أمة دليلة، تنخرها النشوة، والاستسلام المنفتح على كل اللغات وتضاريس الجسد من ولادة آدم وحواء.**"[25]

إذا فالعملية الاستشرافية تتحكم فيها مسوغات عديدة أبرزها الأيديولوجيا السائدة لدى الروائي سواء كانت ثقافية أم اجتماعية أو حتى تاريخية، حيث نجد الكاتب يستشرف في مقاطع عدة من الرواية مصير إحدى الشخصيات بإيراد رمز تاريخي يحمل وزنا لدى أهل الصحراء؛ ألا وهي الملكة تنهينان قائدة الطوارق في القرن الرابع للميلاد والتي لاتزال متجذرة في الذاكرة الجمعية لأهل المنطقة واستحضرها الروائي كشخصية ذات أبعاد مجازية يحاول الخطاب السردي من خلالها إيصال فكرة ما، فهي أم الطوارق الروحية وشخصية إشارية ترمز للحكمة والدهاء"**قد تكونين إحدى حفيدات تنهينان، أو حورية من الحوريات القادمة من أريج هذا الفراغ الذي يطوي حكايات الماضي ويرقد على أسراره.**"[26]

جاءت الرواية مشحونة بدلالات زمنية متضاربة اخترقت نمطية الحكي التقليدي وقضت على التسلسل المنطقي للأزمنة

4.2.3. سيمياء الشخصية:

لعل أهم من قدم رؤية معمقة لسيمياء الشخصية هو فيليب هامون، والذي أسندها إلى خلفية لسانية، وقد قسم الشخصية إلى ثلاثة أصناف **"شخصيات مرجعية تحتوي الشخصيات التاريخيّة، والأسطوريّة والشخصيّات المجازيّة والشخصيّات الاجتماعيّة، والشخصيّات الاشاريّة والاستذكاريّة.**[27]

قدم الروائي في روايته "تاغيت" صورة واقعية لصور صحراء تاغيت واستطاع بذلك إيراد شخصيات ذات مرجعية اجتماعية وهي" **تلك الشخصيات التي تمثل ثقافة ما بحيث أن استكناه أيديولوجيتها مرتبط بالدرجة الأولى بوعي الثقافة التي تنتمي إليها ."**[28] أي أنها الشخصيات التي تمثل الأيديولوجيا السائدة في المجتمع كشخصية سوسن في الرواية وهي شابة تحب الحياة تنحدر من بلدية الوادي، **"أين أنت يا سوسن يامهبولة، لهبال شدك إلي... كل الدروب تضيق بي إلا درب بيتكم."**[29]كانت الشخصيات غنية بمحمولات ثقافية ترسخ لثقافة الاختلاف وضرورة التعايش بين الأنا والآخر، ناهيك عن الشخصيات التاريخية التي سبق ذكرها كشخصية تينهان التي باتت مرجعا تاريخيا واجتماعيا هاما؛ إذ لايزال المجتمع التارقي يستند إلى سلطتها إلى يومنا.

إلى جانب ذلك نجد حضورا لافتا للشخصيات الاستذكارية كونها:" **علامات تنشط ذاكرة القارئ، بعبارة أخرى إنها شخصيات للتبشير."**[30] يستحضرها الروائي ليكسر بها رتابة السرد، ومن الشخصيات الاستذكارية الواردة، شخصية عبد السلام صديق البطل منذ الطفولة **" عبد السلام يتابع تفاصيل المغامرة المستمطرة من أريج الصبا في عشق سديمي عميق، لم يصدق كيف تحولنا ثلاثتنا إلى صبيان نستلطف الحديث عن مغامرات عاطفية طواها الزمن منذ ما يقارب من ثلاثين سنة."**[31] كانت غاية الكاتب من هذا الاستذكار طرح أسئلة وجودية عن طريق العودة إلى أيام الصبا ومجالسة الخلاّن فغالبا ماكان الاستذكار حوارا مع شخصية قريبة للراوي يفصح من خلاله عن أيديولوجيته ونظرته للحياة.

وفي الأخير يمكن القول إن تظافر الأنواع بين الاجتماعية والاستذكارية والمرجعية، ساهم في منح شخصيات الرواية طابعا متفردا موسوما بالتنوع الثقافي كما أعطى الفرصة للتعرف على التراث الفكري المادي واللامادي والدعوة إلى فعل التثاقف.

خاتمة:

إذا من خلال دراستنا للرواية على ضوء آليات المنهج السيميائي، نخلص في ختام هذا التحليل إلى جملة من النتائج كالآتي:

-جاءت الرواية حداثية بامتياز وقدمت صورة متميزة عن أدب الصحراء زاوجت بين فنية السرد من جهة والتجريب من جهة أخرى.

-حفلت الرواية بالوصف الفني لمشاهد من منطقة تاغيت السياحية والتي تروج بدورها إلى تشجيع السياحة في صحراء الجزائر.

-لم تعد الرواية حيزا مغلقا إنما انفتحت بفعل التلاقح الثقافي على شتى الأنواع والمعارف من خلال استحضار الشعر، التراث، السيرة وصنعت هوية سردية انفرادية حادت بها عن رتابة المضامين حاملة شعار في الاختلاف ائتلاف.

- بإمكاننا القول إن الرواية تجريبيّة كونها من الأعمال الأولى التي طرقت باب الصحراء بقالب مختلف في الساحة السردية الجزائرية شكلا من خلال العتبات النصية العنوان وما يحمله الغلاف من دلالات، وكذا المضمون.

_طرق الروائي في معترض حديثه عن الصحراء، باب الأزمة باعتبار الصحراء الملجأ والأمان في الفترة الدموية التي شهدتها الجزائر في التسعينيات فكانت الصحراء رمزا للأمان والسكينة.

-كانت الرواية لوحة فنية تراثية، وفسيفساء جامعة ومعرّفة لعادات أهل الصحراء وثقافتهم التي تكاد تقتصر المعرفة بها عندهم فحسب من خلال التنويع في الشخصيات وجعل الفضاء تيمة إبداعية كان منها المنطلق وإليها الوصول.

_ عجت الرواية بمحمولات ثقافية وتاريخية باعتماد المتخيل واستحضار أبطال من تاريخ الصحراء المغمور وخلق محمولات ثقافية جديدة للرواية.

هوامش وإحالات المقال

[1] ابن منظور، لسان العرب، المجلد15، ط4، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005، ص157-158.

[2] حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص05.

[3] وفاء غالية، مجلة آفاق علمية، الفضاء الجغرافي والفضاء النصي في رواية الشرق الأوسط، (د.ط)، 2016، ص9.

[4] ينظر، حسن نجمي، مرجع سابق، ص59.

[5] ابن منظور، لسان العرب، المجلد14، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص2403.

[6] صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص16.

[7] عطيات أبو العينين، صلاح معاطي، البدو أمراء الصحراء، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص7.

[8] ينظر، ابن خلدون، (د ت)، المقدمة، دار الشعب، القاهرة، ص54.

[9] سورة البقرة، الآية، 273.

[10] ابن منظور، لسان العرب، المجلد 7، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4،2005، ص308/307.

[11] عبيد سبطي، نجيب بحوش، مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص14.

[12] ينظر، غالب هلسا، المكان في الرواية العربية، عن كتاب الرواية العربية واقع وآفاق، دار الرشد للطباعة والنشر، ط1، دت، بيروت، ص111.

[13] ينظر، سعيد الغانمي، ملحمة الحدود القصوى، المخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص16.

[14] ينظر، دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: وهبة طلال، ميشال زكريا، م1، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008، ص55.

[15] باديس فوغالي، تاغيت، دار المنتهى، الجزائر، ط1، 2016، ص05.

[16] ينظر، إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال الجزائري، الجزائر، ط1، 2002، ص37.

[17] الرواية، ص05.

[18] الرواية، 07.

[19] عبد الحكيم محمد شعبان، الرواية العربية الجديدة، (دراسة في آليات السرد وقراءات نصية)، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ،2014، ص93.

[20] سيزا قاسم، بناء الرواية " دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1984، ص40.

[21] ضياء غني لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، ص91.

[22] ينظر، عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، دط، 2008، ص131.

[23] الرواية، ص13.

[24] ينظر، مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1،2004، ص207.

[25] الرواية، ص41.

[26] المصدر نفسه، ص60.

[27] ينظر، فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 36/35.

[28] ينظر، حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص217.

[29] الرواية، ص52.

[30] فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، ص 36/35.

[31] الرواية، ص92.

قائمة المراجع:

-القرآن الكريم

1. - باديس فوغالي ، تاغيت، دار المنتهى، الجزائر، ط1، 2006.
2. إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال الجزائري، الجزائر، ط1، 2002
3. ابن خلدون: المقدمة، دار الشعب، القاهرة.تحقيق، وافي علي عبد الواحد، دط، 1950.
4. ابن منظور، لسان العرب، المجلد15، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005.
5. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
6. حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
7. سعيد الغانمي، ملحمة الحدود القصوى، المخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 2000.
8. سيزا قاسم، بناء الرواية " دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1984.
9. شعبان عبد الحكيم محمد، الرواية العربية الجديدة، (دراسة في آليات السرد وقراءات نصية)، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.
10. صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1996.
11. ضياء غني لفتة، البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010.
12. عبيد سبطي، نجيب بحوش، مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.
13. عطيات أبو العينين، صلاح معاطي، البدو أمراء الصحراء، مؤسسة الوراق، عمان، الأردن، ط1، 2014.
14. عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، دط، 2008.
15. غالب هلسا، المكان في الرواية العربية، عن كتاب الرواية العربية واقع وآفاق، دار الرشد للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981.
16. مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004.
17. ينظر، واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، حث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986.
18. وفاء غالية، مجلة آفاق علمية، الفضاء الجغرافي والفضاء النصي في رواية الشرق الأوسط، دط، 2016.

المراجع المترجمة:

1. - دانيال تشاندلر ، أسس السيميائية، ترجمة: وهبة طلال، ميشال زكريا، م1، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008.
2. - فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم: عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2013.